الحركة القومية العربية واستقلالية العمل الفلسطينية

د. ابراهيم ابراش

على الرغم من ايلاء القوميين العرب اهتماماً ملحوظاً بالقضية الفلسطينية واعتبارها قضية العرب القومية، الا انه يلاحظ غياب الدور الفلسطيني المستقل، وعدم بلورة دور خاص للفلسطينيين في الفكر القومي العربي طوال مرحلة الخمسينات.

وقد ساهمت في تغييب الدور الفلسطيني عوامل واعتبارات عدة، بعضها يعود الى مضمون الفكر القومي وتصور القوميين العرب له، وبعضها يعود لاعتبارات موضوعية خاصة بالظروف التي يعيشها الشعب الفلسطيني وحركته الوطنية.

فقد تميز الفكر القومي العربي، خلال مرحلة الخمسينات، في وقت كان القوميون خارج السلطة، بتركيزه الشديد على الجانب الشمولي للقومية العربية، واهتمامه بابراز البعد القومي للقضية الفلسطينية القائم على اساس ان مسؤولية تحرير فلسطين هي مسؤولية عربية قومية والشعب الفلسطيني ليس مسؤولاً، لوحده، عن تحرير فلسطين؛ ومن ناحية أخرى، فالقوميون العرب كانوا ينظرون الى الواقع العربي المجزأ باعتباره نقيضاً للوضع الحقيقي والسليم الذي يمثله كون العرب أمة واحدة. ومن هنا، فان النضال القطري، مهما كانت صوره واشكاله، يعتبر عملاً اقليمياً يجب تجاوزه لصالح العمل القومي الموحّد؛ وهذا يعني ان ابراز الكيان الفلسطيني والشخصية الفلسطينية يعتبر عملاً اقليمياً وزيادة كمية في واقع التجزئة العربية.

مثلت مرحلة الخمسينات اقصى مراحل المعاناة بالنسبة الى الشعب الفلسطيني، اقتصادياً واجتماعياً وسياسياً. وكان للجانب السياسي من هذه المعاناة دور في تغييب الشخصية الفلسطينية، والخصوصية الفلسطينية، عن برامج وسياسات الحركة القومية العربية. فواقع الشتات الفلسطيني، وحياة البؤس في المخيمات، وتبعثر الحركة الوطنية الفلسطينية، وغياب المؤسسات الاجتماعية والسياسية الاخرى، شجعت الانظمة العربية والحركات السياسية العربية على اعتبار الفلسطينيين كمّاً مهملاً يقتصر دورهم على مراقبة الاحداث، دون صنعها، حتى وان كان يتعلق الامر بمصيرهم وحياتهم. وقد عززت من هذا الواقع سلبية الفلسطينيين، وضعف الوعي الكياني لديهم في تلك المرحلة، وخصوصاً انه لم

شؤون فلسطينية ، العدد ١٦٤ ـ ١٦٥، تشرين الثاني/كانون الاول (نوفمبر/ديسمبر) ١٩٨٦